

فالأحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره وودن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . والألا كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وفي قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وفي قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وفي قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) إلى غير ذلك من الآيات . فالقرآن يراد للعمل به وأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . وتلاوة القرآن حق تلاوته . هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل - وحفظ العقل تفسير المعاني - وحفظ القلب الاتماظ والتأثر بالأزجار والاثمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ *

كتاب الأذكار والدعوات

* فضيلة الذكر *

من الآيات قوله سبحانه تعالى (فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وقال تعالى (أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) وقال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) وقال ابن عباس أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى

(وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) وقال تعالى في ذم المناققين (وَلَا
يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) *

ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم (يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ أنا مع
عبدى ما ذكرني ويحمرُّ كتبي شفَّته) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ
أحبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكراً لله عزَّ وجلَّ) وسئل صلى
الله عليه وسلم * أى الأعمال أفضل فقال (أن تموتَ ولسانك رطبٌ بذكر
الله عزَّ وجلَّ) وقال صلى الله عليه وسلم (قال اللهُ تبارك وتعالى إذا ذكرني
عبدى في نفسه ذكرتُه في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرتُه في ملاء
خيرٍ من ملاءه وإذا تقربَ منى شبراً تقربتُ منه ذراعاً) الحديث *
ومن الآثار قول الحسن : الذكر ذكران ذكر الله عزَّ وجلَّ بين نفسك
وبين الله عزَّ وجلَّ ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه
عند ما حرم الله عزَّ وجلَّ *

* فضيلة مجالس الذكر *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جلس قومٌ مجلساً يذكرُونَ
اللهَ عزَّ وجلَّ إلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ
تعالى فيمنُ عنده) *

* فضيلة التهليل *

قال صلى الله عليه وسلم (أفضلُ ما قلتُ أنا والنبيونَ مِن قَبْلِى لا إلهَ

إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَنُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ) الْحَدِيثُ *

﴿ فضيلة التسبيح والتحميد، وبقية الأذكار ﴾

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ سَبَّحَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خَفَرَتْ ذُنُوبُهُ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَحَبُّ السَّلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يُضْرَكُ بِأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ * سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) *

﴿ سر فضيلة الذكر ﴾

ان قلت ما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقة فيها فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة

أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى . بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية . ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب . وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأُنس والحب *

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) وقال تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخرج العباد) وقال صلى الله عليه وسلم (سلوا الله تعالى من فضله فإنه تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادات انتظار الفرج)

﴿ آداب الدعاء ﴾

(الأول) أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من الليل قال تعالى (وبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ) *

(الثاني) أن يفتنم الأحوال الشريفة كحال زحف الصفوف في سبيل

الله تعالى وعند نزول الوحي وعند إقامة الصلوات المكتوبة وخلف الصلوات وبين الأذان والاقامة وحالة السجود . وبالْحَقِيقَةُ يرجع شرف الأوقات الى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات . ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهم وتعاون القلوب على استدرا رحمة الله عز وجل *

(الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطنه ثم ينبتني أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مدَّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . وقال ابن عباس : كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضمَّ كفيه وجهه بطونهما مما يلي وجهه . فهذه هي آت اليد . ولا يرفع بصره الى السماء *

(الرابع) خفض الصوت بين الخافتة والجهر قالت عائشة في قوله تعالى (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) أى بدعائك وقد أثنى تعالى على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) وقال تعالى (اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) *

(الخامس) أن لا يتكلف السجع في الدعاء والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى في دعائه فيسأل بالالتفتضيه مصالحته فما كل أحد يحسن الدعاء *

(السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال تعالى (اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) *

(السابع) أن يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهَ أَنْ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيُعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ) وقال صلى الله عليه وسلم (أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ) *

(الثامن) أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا وأن لا يستبطن الاجابة
 (التاسع) أن يفتح الدعاء بذكر الله تعالى (ولا يبدأ بالسؤال) ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويختتم بها أيضاً *
 (العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة - التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة *

﴿ فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كَتَبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ) وقيل يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا (اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ) وروى أن عمر

رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل
طاعتك طاعته فقال عز وجل (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) . بأبي
أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعمو
عناك قبل أن ينبرك بالذنب فقال تعالى (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ)
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون
أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يهذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسول . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان موسى أعطاه الله حجراً تمتجر
منه الأنهار فإذا بأعجب من أصابك حين نبع منها الماء صلى الله عليك
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان سليمان أعطاه الله الريح غدوفاً شهر
ورواها شهر فإذا بأعجب من البراق حين سرت عليه إلى السماء السابعة
ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي
يا رسول الله لأن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فإذا بأعجب
من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت الذراع لائتأ كاني غاني
مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وفصر عمرك
مالم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن
منه إلا القليل ولقد لبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك
روضت طامعك على الأرض واهقت أصابعك تواضعا منك فصلى الله
عليك وسلم *

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عز وجل (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) وقال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) وقال تعالى (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) وقال تعالى (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَكْثَرَ مِنْ الاستغفارِ جَمَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَرِزْقًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) وقال صلى الله عليه وسلم (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً) وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمَقْدِمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وعن الفضيل رحمه الله : استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وعن رابعة المدوية رحمه الله : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير *

وأما أوراد الصباح والمساء وخالف الصلوات وفي السحر فلنا فيها

كتاب مستقل فليرجع اليه من أحب ذلك *

﴿ آداب النوم ﴾

(الأَوَّل) الطهارة والسواك (الثاني) أن يمد طهوره وسواكه وينوي القيام للعبادة عند التيقظ (الثالث) أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض من النوم (الرابع) أن ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ (الخامس) أن يقتصد في تمهيد الفرش الناعمة (السادس) أن لا ينام ما لم يخلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا اذا قصد به الاستمانة على القيام في آخر الليل (السابع) أن ينام مستقبلاً القبلة (الثامن) الدعاء عند النوم بما ورد ومنه قراءة الاخلاص والموذنين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وآية الكرسي والتسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد كذلك والتكبير كذلك (التاسع) أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاقه والتيقظ نوع بمش وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه من حب الله وحب لقاءه أو حب الدنيا ويحشر على ما يتوفى عليه (العاشر) الدعاء عند التنبه وليقل أو لا الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أماتنا واليه النشور ثم ليقرأ خواتم آل عمران - إن في خلق السموات والأرض . الآيات وليسبح عشراً وليحمد كذلك وليكبر كذلك وليهلل كذلك . قالت عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين

عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهتدي لما اختلف فيه من الحق باذنك
 انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتح الصلاة ويصلي
 ركعتين خفيفتين ثم يصلي شئ شئ ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد
 صلى الوتر. وكان ربما جهر بالقراءة ورويا أسرها. وأكثر ما صح عنه في قيام
 الليل ثلاث عشرة ركعة *

﴿ بيان أن الأوراد للمتجرد للعبادة ﴾

اعلم أن الأوراد والأذكار المروية والوظائف الليلية والتهجدية إنما
 تستحب للمتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلاً بحيث لو ترك العبادة
 جلس بطالاً . وأما العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو
 تصنيف فتربيته الأوراد يخالف ترتيب العباد . فانه يحتاج الى المطالمة
 الكسب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها الاحالة فان أمكنه
 استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وروايتها .
 ويدل على ذلك ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب الصلح وكيف
 لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى . وتأمل ما قال الله
 تعالى وقال رسوله . وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب
 مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه
 ضائعاً . وأما العاجي والمتعلم فحضوره مجالس القلم والوعظ أفضل من اشتغاله
 بالأوراد . وكذلك المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له أن
 يضع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصلح

حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته *

* فضيلة قيام الليل *

من الآيات قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) وقوله تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ) وقوله عز وجل (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) وقوله سبحانه (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلنَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم (ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه) وقوله صلوات الله عليه (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم) *

* الأسباب المسهلة لقيام الليل *

منها أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيقلبه النوم ويثقل عليه القيام ومنها أن لا يترك القبولة بالنهار فلها سنة الاستمانة على قيام الليل ومنها أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والأخبار حتى يستحکم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان ومنها - وهو أشرف البواعث - الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم

بمحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يحظر بقلبه
 وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب
 لا محالة الخلو به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام
 ﴿ بيان لذة المناجاة عقلاً ونقلاً ﴾

لا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل
 فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب انعامه وأمواله
 أنه كيف يتلذذ به في الخلو ومناجاته حتى لا يأتية النوم طول ليله فان قلت
 إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وأن الله تعالى لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل
 المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة
 دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه
 وذكره بلسانه بسمع منه وان كان ذلك أيضاً معلوما عنده فان قلت إنه
 ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم أنه ان
 كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت أيضاً لذة في عرض أحواله
 عليه ورفع سريره إليه كيف والموقف يسمع من الله تعالى كل ما يرد على
 خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه
 حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه ، والرجاء في حق الله تعالى
 أصدق وما عند الله أبقى وأنفع مما عند غيره وكيف لا يتلذذ بعرض
 الحاجات عليه في الخلوات وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم
 بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصرون المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل

لبعضهم كيف أنت والليل قال ماراعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال علي بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخاوتي بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس عليّ وقال أبو سليمان أهل الليل في ليالهم ألدّ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة . وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث قيام الليل وإلقاء الإخوان والصلاة في الجماعة وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط (١)

(١) ولتأييد هذا البحث الذي كان يتحدث به المؤلف في دروسه العامة نذكر ما كان نقله المؤلف أيضا في تأليف آخر عن الشمس ابن القيم الدمشقي في إغاثة اللفغان وصورته : قال ابن القيم حقيقة المرء قلبه وروحه ولا صلاح له إلا بتوحيده ربه وعبادته وخوفه ورجائه وفي ذلك أعظم لذة المرء وسعادته ونعيمه إذ ليس في الكائنات شيء غير الله عز وجل يسكن القلب إليه ويطمئن به ويأنس به ويتنعم بالتوجه إليه فنفس الإيمان به ومحبته وعبادته واجلاله وذكره هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما دلت عليه السنة والقرآن وشهدت به الفطرة لا كما يقوله من قل نصيبه من

﴿ طرق القسمة لأجزاء الليل ﴾

احياء الليل له سبع مراتب (الأولى) احياء كل الليل وهو شأن الأتقياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة قلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار . اشهر ذلك عن أربعين من التابعين (الثانية) أن يقوم نصف الليل .

التحقيق أن عبادته وذكره تكليف ومشقة لمجرد الامتحان أو لأجل مجرد التعويض بالثواب أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها ليرتفع عن درجة البهيم بل عبادته ومعرفة وتوحيده وشكره قرّة عين الانسان وأفضل لذة الروح والجنان وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكافة بالقصد الأول وان وقع ذلك ضمننا في بعضها لاسباب اقتضته لابد منها هي من لوازم هذه النشأة فأوامره سبحانه وحقّه الذي أوجبه على عباده وشرائعه لهم هي قرّة العيون ولذة القلوب ونعيم الأرواح وسرورها وبه سعادتها وفلاحها وكاملها في معاشها ومعادها بل لاسرورها ولا لذة في الحقيقة الا بذلك كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وهدى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وكنا قال غير واحد ولا يقال قد وقع تسمية ذلك تكليفا في القرآن كقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لانا نقول انما جاء ذلك في جانب النفي ولم يسم سبحانه أوامره ووصاياه وشرائعه تكليفا قط بل سماها روحا ونورا وشفاء وهدى ورحمة وحياة وعهدا ووصية ونحو هذا انتهى

(الثالثة) أن يقوم ثلث الليل من النصف الأخير (الرابعة) أن يقوم سدس الليل الأخير أو خمسة (الخامسة) أن لا يراعى التقدير فينام ويقوم في أجزاء الليل مطلقا (السادسة) أن يقوم بمقدار أربع ركعات أو ركعتين . وحيث يتمذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل القيام قبل الصبح وقت السحر ولا يدركه الصبح نائما . وهذه هي الرتبة السابعة *

وأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي . ودل عليه قوله تعالى في الموضعين (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ) فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه . فان كسر قوله (ونصفه وثلثه) كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والرابع . وان نصب كان نصف الليل وثلثه . وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك . وهذا يكون السدس فما دونه *

كتاب آداب الأكل

﴿ والدعوة والضيافة ﴾

ان الله تعالى أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر